

الانطلاق والتحرر من قيد البيت العمودي

الدكتور حبيب حسين الحسيني

كلية الآداب - جامعة بغداد

بدأ بعض الشعراء المعاصرين ، منذ أوائل هذا القرن بالتحرر والانطلاق من قيد البيت العمودي ، حيث حبذوا الشعر المقطوعي أو تغيير الوزن والقافية . ويتمثل هذا التحرر عند شعراء المهجر مثل ايليا ابوماضي والياس فرحات وجورج صيدح وشفيق معلوف ونسيب عريضة وغيرهم من هؤلاء الشعراء . وتأثر بهؤلاء الشعراء بعض شعراء البلاد العربية الآخرين ، فسلكوا مسلكهم ، واتخذوا طريقتهم في نظم قصائدهم العمودية، بأن جعلوا قصائدهم عبارة عن مقاطع ذات وزن واحد مع تغيير القوافي لكل مقطع . وشمل هذا التحرر في الشعر المعاصر عدا القافية المختلفة والمتعددة، عدد التفعيلات التي يحويها الشطر الشعري العمودي ، اذ استطاع بعض الشعراء أن يقلل من تفعيلات الشطر أو يزيد عليها قليلا أو يأتي بعدد من التفعيلات لم نجدها في بحور الخليل بن أحمد . وكذلك شمل هذا التغيير تطورا في استخدام بعض الأعاريض والأضرب لقسم من قصائد الشعراء . واتخذ هذا التحرر أشكالا متنوعة مختلفة سنعرض لبعضها فيما يأتي من البحور التي نظموا فيها قصائدهم :

١ - البحر الطويل : للشاعر حسن عزة قصيدة عنوانها (خذوا عني الدنيا) (١) تحوي اثني عشر بيتا من هذا البحر ، وقد جعل لكل ثلاثة

(١) دموع وأشواق : ٧٣ .

أبيات قافية موحدة واستخدام للأبيات الثلاثة الأولى الضرب التام
(مفاعيلن) ، بينما استخدم لبقية أبيات القصيدة الأخرى الضرب المقبوض
(مفاعلن) . والخروج من ضرب الى ضرب يسمى عند العروضيين
(بالتحريد) وهو عيب من عيوب الشعر . قال حسن :

ألا أيها العذال ان مدامعي
تنبئكم ألا سبيل الى الرشيد

وآهاتي الحرى تخبر أنني
نبئت النهى للشوق والصبر للوجد

فلا ترهقوني بالعتاب كفاكمو
دعوني الى الأشواق أحملها وحدي
مفاعيلن

خذوا عني الدنيا خذوا كل طارف
خذوا عني الماضي الرقيق المطالع
مفاعلن

دعوني اليه يذهب الشوق خافقي
وأحرق قربانا لعينيه فاديا
مفاعلن

ألا فخذوا مني الأمان لقلبه
خذوا لتفاويه جميع خواطري (٢)
مفاعلن

(٢) القصيدة ذات أربعة مقاطع وقد ذكرنا لكل مقطع بيتا واحداً عدا
المقطع الأول الذي ذكرناه .

٢ - البحر البسيط : نظم الأستاذ المرحوم ابراهيم الواصل قصيدة
في هذا البحر ، وقد جعلها ذات ستة مقاطع من الشطور ، اذ بدأها ببيت
واحد من الشعر العمودي هو :

ردي الي ترانيمي وأقداحي
فقد ظمئت الى الانغام والراح

وجعل قوافي المقاطع موحدة ، ما عدا قافية آخر شطرين من كل مقطع ،
حيث جعلها كقافية البيت العمودي . واستخدم لها الضربين (فعلن
وفعلن) المخبون والمقطوع ، مع تكرار صدر البيت العمودي في كل مقطع ،
فقال (٣) :

هجرتنى وزويت الكأس والنغما
فعاد قلبي كالقيثار منحطما
ماذا عليك - اذا ما الدهر قد آثما -
لو تطفئين من الأنفاس ما اضطرما
فعلن

يا جنتي وخيالاتي وأفراحي
ردي الي ترانيمي وأقداحي
فعلن

ردي الي ربيعا كان مزدانا
وجنة عبققت بالسحر ألوانا
أيام كنت بعيد الهم جدلانا

(٣) ديوان الواصل - القسم الثاني - قصيدة أحلام : ٢١ - ٢٣ نظمت
سنة ١٩٤٨ القاهرة .

كالطفل يبسم للأطيار وسنانا
وأنت لحن أماسي واصباحي
ردي الي ترانيمي وأقداحي
فعلن

... الخ (٤)

٣ - البحر الكامل : نظم الشعراء المعاصرون بعض قصائدهم في هذا
البحر ، ولم يتقيدوا بقافية موحدة لقصائدهم . واستخدم بعضهم مع هذا
البحر مجزوءه المرفل وأشطراً تحوي تفعيلتين . قال الشاعر (٥) :

في البرعم الغافي وفي الهدب المبلل بالدموع
في الصمت في الأحلام في الشفق المخضب في الربيع
متفاعلاتن

روحي تفر اليك مني
ثملى يجنحها التمني
وإذا أفقت وأنت عني
في معزل وأنا بسجني
رجعت الي تقول : غن

(٤) تنظر قصيدة أنور خليل في ديوانه (من أصدقاء المعتك - يا بؤس
يا ظلم ... ص : ١٨ - ١٩ سنة ١٩٤٦ م ، فقد استخدم لها شطوراً
من هذا البحر واستخدم لها قوافي مختلفة مع الضربين (فعلن)
و (فعلن) . وتنظر قصيدة الشاعر موسى النقدي (عوالق) فقد
جعلها ذات ثلاثة مقاطع من الشطور واستخدم لها الضربين (فعلن
وفعلن) مع قافية موحدة لكل مقطع - ديوان أجنحة النور ص :
٢٥ - ٢٦ .

(٥) ملائكة وشياطين قصيدة (أغنية ص : ٦٨ - ٦٩ القصيدة مقطعان
متشابهان .

متفاعلاتن

ما زلت نشوان الخواطر تائها
في الوهم أضرب كالفراش الحائر

ماضي يجذبني اليك بلهفة
ويكاد في عينيك يشعل حاضري

ويهز في أعماق روحي صورة
في سر أحلامي وفرحة خاطري

لولا سناها ما عرفت حقيقتي
ونشيد انشادي وكنه مشاعري

متفاعلن

لقد تحرر بعض الشعراء من عدد التفعيلات في بعض قصائدهم ، ولم يلتزموا العدد المعين من تفاعيل البحور التي وضعها الخليل بن أحمد ، حيث وجدها في شعر العرب . وهذه التفاعيل ثابتة باقية حتى يومنا هذا في البحور الشعرية المختلفة ، ولقد أشارت نازك الملائكة الى ذلك فقالت : (وكل ما نصنع نحن الآن ، أن نتلاعب بعدد التفاعيل وترتيبها) (٦) . وعدت نازك هذا اسلوبا جديدا يطلق الشاعر من قيده فقالت : (انني أحسست أن هذا الاسلوب الجديد في ترتيب تفاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد) (٧) وادعت أنه ليس خروجا على طريقة الخليل فقالت : (وينبغي ألا ننسى أن هذا الاسلوب الجديد ليس خروجا على طريقة الخليل ، وإنما هو تعديل لها يتطلبه تطور المعاني والأساليب خلال

(٦) شظايا ورماد - المقدمة ص : ١١ .

(٧) شظايا ورماد - المقدمة ص : ٨ .

العصور التي تفصلنا عن الخليل (٨) .
قالت نازك في قصيدتها (لحن النسيان) (٩) وقد استخدمت
لشطورها هذه التفعيلات :

لم يا حياه
١ متفاعلان
تذوي عذوبتك الطرية في الشفاه
٣ متفاعلان
لم وارتطام الكأس بالفم لم يزل
٣ متفاعلان
في السمع همس من صداه ؟
٢ مستفعالان

.....

ولم الملل
١ متفاعلان
يبقى يعيش في الكؤوس مع الأمل
٣ متفاعلان
ويعيش حتى في مرور يدي حلم
٢ متفاعلان
فوق المباسم والمقل
٢ متفاعلان

.....

٤ - البحر الهزج : ومن القصائد التي جعل الشعراء لصدورها قافية
موحدة ولأعجازها قافية موحدة قول الأستاذ المرحوم ابراهيم الواصل في
قصيدته (يا قلب) (١٠) :

نسيم الصبح قد رقا
يحيي الزئبق الباسم

-
- (٨) شظايا ورماد - المقدمة ص : ١٠ .
(٩) قرارة الموجة ص : ١٣٢ - ١٣٦ - القصيدة ٩ مقاطع مختلفة القوافي
ومسكنة . استخدمت الشاعرة لها الضربين (متفاعلين ومتفاعلان) .
تنظر قصيدة (نداء ص : ٣٦ - ٣٧ في ديوان أفياء) إذ استخدم لها
الشاعر تفعيلة واحدة وتفعيلتين وثلاث تفعيلات واستخدم لها الأضرب
(متفاعلين ومتفاعلان ومتفاعلاتن) .
(١٠) ديوان الواصل : ١٠٠/١ نظمها في سنة ١٩٤١م بغداد .

فيا قلبي كم تشقى
بأفق موحش قاتم

.....

أفق يا قلب فالفجر
تجلى من ثياته
وقد هام به الزهر
يحييه بباقاته
وهذا الحسن والعطر
فنون من تحياته
وما قد صفق النهر
يحييه بموجاته
أفق يا قلب من نومك
مع الصادح اذ هبا
وخل الناس في لومك
وخل اللوم والعتبا
فما تحصد من يومك
سوى الشوك وما العقبى
وماذا نلت من قومك

وقد ضلوا بك الدربا(١١)

وللشاعر عدنان الراوي قصيدة (العبد السيد) (١٢) التي نظمها في
هذا البحر وقد بدأها بثلاثة أشطر يحوي الشطر الأول والثاني تفعيلية

(١١) تنظر قصيدته (في العيش لنا حق في ١/١٨٥ - ١٨٦) فهي من
الهجج وتحوي ٥ مقاطع اذ بدأها بيتين لهما قافية موحدة ، وجعل
كل مقطع ذا قافية موحدة .

(١٢) من العراق ص : ٧٧ - ٧٨ .

واحدة ويحوي الشطر الثالث تفعيلتين • وجعل الشاعر الأشطر الخمسة
بعدها ذات قافية موحدة • وهي شبيهة بالمخمس • قال الشاعر :

أنا العبد ١ مفاعيلن
ولي قيد ١ مفاعيلن
فأين العز والمجد ٢ مفاعيلن

وقومي من همو قومي

أبأه الذل والضيم
لقد كانوا وبالرغم
أصاخوا اليوم للظلم

وذاقوا لذة السلم ٢ مفاعيلن
فأين العز والمجد ٢ مفاعيلن
ولي قيد
أنا العبد

لنا أهل وأسماء
وألقاب وعلياء
لنا دين وآراء
وفي الدنيا أذلاء
فقولوا ما هو الداء الخ (١٣)

٥ - مجزوء الرمل : نظم الشعراء قصائد في مجزوء الرمل • وهذه
قصيدة استخدم لها الشاعر الضرب (فاعلان) وهو استخدام جديد في
هذا الباب • وكذلك استخدم لها أبياتاً وشطورا ، واستخدم للشطور

(١٣) هذه القصيدة ذات ٤ مقاطع متشابهة تماما • تنظر قصيدته (يأس
ص : ٨١ - ٨٢ في الديوان نفسه) فهي مثلها تماما وذات ٣ مقاطع •

الأضرب (فاعلاتن وفعلاّن وفاعلن) • قال الشاعر في قصيدته (من رأى
الشاعر تاب) (١٤) :

كذب الواشي وخاب
من رأى الشاعر تاب
عمره فجر من الحب
وليل من شراب
فاعلان

كيف أصحو ؟ خمرتي من شفتيك
والمنى تضحك لي في ناظريك
وأناشيد الهوى في أذنيك
همسات القطر بل رنات أيك

٣ فاعلاتن

غنني يا بليلي
واسقني يا جدولي
الليالي الحمر لي

٢ فاعلن

١ فاعلاتن

٢ فاعلان

يا سليمي
كذب الواشي وتاب
رددي ذكرى لقانا الأول
وتساقينا كؤوس الغزل
وافتراش العشب عند الجدول
أنا لا أنسى وقد غنيت لي

٣ فاعلن

عندما الليل احتوانا

كيف سالت دمعانا

وتلاقت شفقتانا

٢ فاعلاتن

١ فاعلاتن

يا سليمى

... الخ (١٥)

٦ - البحر السريع : نظمت نازك الملائكة قصيدة في هذا البحر وقد

تحررت من قيد العروض والضرب على السواء . وكذلك من قيد القافية .

فاستخدمت للعروض (فاعلن وفاعلان ومفعول وفاعلن) وللضرب (فاعلن

وفاعلان ومفعول وفاعلن) . قالت نازك في قصيدتها (رماد) (١٦) :

أهكذا داست علينا الحياه

لم تبق منا صدى

فاعلن

لم تبق الا الندم الأسودا

وصوت واخيتاه

فاعلان

.....

ونحن ما زلنا نجر الحنين

والأمس والذكريات

(١٥) القصيدة ٤ مقاطع .

(١٦) شظايا ورماد ص : ١٥٦ - ١٦٠ - القصيدة ٢٣ مقطعا ، وكل مقطع

يحوي بيتين . جعلت الشاعرة الصدر ذا ثلاث تفعيلات والعجز ذا

تفعيلتين .

أقيادنا مثقلة بالحياة

ونحن في الميتين

٢ فاعلان

.....

وبعث ماضى لونا أركانه

من مزق الأحلام

٢ مفعول

أمسى رهيباً تنكر الأيام

مفعول

مباري جدرانه

٢ فاعلن

والريح لم تبق على بابه

حروف أسمائنا

لم تبق حتى وقع أقدامنا

في جو محرابه

٢ فاعلن

اشباحنا حافرة في ارتعاد

مقبرة الذكريات

لا صورة تنبض فيها حياة

٢ فاعلان

لا شيء غير الرماد

٢ فاعلان

تنصت في رعب وفي اعياء
عند السياج الحزين
٢ فاعلان

فلا تعي الا بقايا أنين
ترسـله الأقباء
٢ مفعول

• الخ (١٧) •

٧ - البحر المنسرح : نظم الشعراء في هذا البحر قصائد قليلة •
وهذه القصائد اختلط قسم منها بالسريع والرجز • والقصائد التي
وجدناها من هذا البحر هي منهوك المنسرح ذو التفعيلتين • قال الشاعر
أنور العطار في قصيدته (المدينة المسحورة) (١٨) :

زنبقة الصـحراء
يا فتنة الوجود
نشرت في الفضاء
روائح الخلود
٢ فاعلان

سربت في الأفكار
روحاً يفيض عطفاً

(١٧) تنظر قصيدة (شعب سجين ص : ٢٧ - ٢٩ في ديوان من أصدقاء
المعترك) فهي تشبه قصيدة نازك ، الا أنها ذات أربعة أبيات مع
شطر منفرد • استخدم لها الشاعر العروض (فاعلان) عدا مقطع
واحد منها استخدم له العروض (فاعلن) • أما الأعجاز ففيها تفعيلتان
اثنان فقط وضربهما (فعلن) والقصيدة هذه ستة مقاطع •
(١٨) ظلال الأيام ص : ٦٤ - ٦٥ •

وغبت في الأنظار
طيفا يذوب لطفها
فعولن

يا متحف الدهور
ومعرض الألباب
خبأت للعصور
سلافة الأحقاب
مفعولن

وقاسيون لاحا
وأنت بين سوحه
مترعمة مراحا
تلعب في سفوحه
فعولن

وماهنا الآباد (مفعول) لم يطوها الفناء
تكلم الجماد واختلج العفاء
فعول

دمشق أنت مأوى
للحسن والفنون
عشت الدهور نجوى
للشاعر المفتون
مفعول

• ٠٠٠ الخ (١٩) •

(١٩) القصيدة تحوي ٢٩ مقطعا وكل مقطع بيتان •

استخدم الشاعر هنا للأبيات الأعاريض (مفعولن ومفعول وفعلون
وفعل) والأضرب (مفعولن وفعلون ومفعول وفعل) • وجعل لكل صدرين
قافية موحدة ولكل عجزين قافية موحدة •

٨ - البحر الخفيف : نظم الشعراء أيضا في هذا البحر قصائد ذات
أبيات وشطور ، واستخدموا قوافي مختلفة متعددة لقصائدهم • قال الشاعر
في قصيدته (ذكرى الشويحات) (٢٠) :

صبح المزن بالشويحات دارا
وسقى القطر غيدها والعذارى
وكساها من النعيم ازدهارا

وحباها من الربيع اخضارا
وسلاما ونضرة ونعيما

قد قضينا من الدهر حولا
كان من سائر الليالي أحلى
فسرقنا فيه اللذات عجلي

ورشفنا من المرافيف طلا

وعصرنا من الثغور الكروما

كم نعمنا بفاتر الطرف خاذل

كاد من وطأة البرى والخلاخل

صاح يدمى وفي اللمى خمر بابل

(٢٠) دموع وأشواق ص : ٧٩ - ٨٠ •

عثقتها يد التقدير العادل
للذي ضيع الحياة هموما

• الخ (٢١) •

٩ - البحر المتقارب : نظم الشعراء في هذا البحر قصائد كثيرة ، ولم يلتزموا بقافية موحدة لكل قصيدة • وكذلك لم يلتزموا بعروض وضرب الأبيات والشطور ، ولم يلتزموا بعدد التفعيلات في الأبيات والشطور • وهذه قصيدة (خيوط الذهب) (٢٢) التي جعل الشاعر للصدر قافية موحدة لأربعة أشطر وللعجز قافية موحدة لكل شطرين فقال :

دعي شعرك الحلو مسترسلا
كشلال تبر على كتفيك
كبركان نار جرى مثقلا
وأبطأ في منحني ساعديك
فعولن

كريف بلادي ما أجملا
حقول بلادي وقت المساء
تموج السنابل فيها على
رفيف النسام ودفق الضياء
فعول

(٢١) القصيدة ذات ٥ مقاطع متشابهة • تنظر قصيدة (العميان ص : ٣١ - ٣٢ في ديوان الجداول) فهي ثمانية مقاطع وكل مقطع يحوي ٣ أشطر وبيتا من الشعر كاملا من البحر الخفيف • وجعل الشاعر لكل ٣ أشطر قافية موحدة • أما البيت الشعري في كل مقطع فله قافية موحدة أيضا •

(٢٢) قبل لا تنتهي ص : ٢١ - ٢٣ القصيدة تحوي ٣ مقاطع •

دعي شعرك الحلو مستسلما
الى كنتفي باقة من حرير
أعي فيه هدأة صحو السما
وأبصر وجه الربيع النضير
وأسرح في غابة مغرما
بنفح الظلال وهمس الورود
وأرجع ظمان ما للظما
أليس له في ضلوعي حدود
فعول

• الخ (٢٣) •

وهذه قصيدة غريبة نادرة من هذا البحر • استخدم الشاعر لكل بيت منها (١٠) تفعيلات ، وهو شاذ ، ثم أورد بعد هذه الأبيات بيتين يحويان (٤) تفعيلات ثم بيتا واحدا يحوي (٣) تفعيلات ، ثم بيتا آخر يحوي تفعيلتين فقال (٢٤) :

تحيرت أختاه لا الأنجم الساطعات
ولا الخايبات يخبرنني عن غدي
أرى مقلتين بعيداً وراء الضباب
تريقان دمعاً على الأفق المرعد

(٢٣) تنظر قصيدته (نزهتي في الشتاء ص : ٤٩ - ٥٠) فهي خمس مقاطع ذات بيتين في كل مقطع • وهي تشبه هذه القصيدة ، الا أن الشاعر جعل لكل صدرين قافية موحدة ولكل عجزين قافية موحدة في كل المقاطع مع اختلاف القوافي في المقاطع • واستخدم الضربين (فعول وفعل) •

(٢٤) طبول الرعب - قصيدة (حشرات ص : ٥٠ - ٥١) • ه

وقلبا طريحا يحشرج والأمنيات
سجدن ينحن على أمسه الأبعد
وأسمع همساً حزيناً جريح الصدى
يغمغم : يا أمسيات الغرام اشهدي
تفاني وحشرج في جبهها (فعل)
ولاهية عنه تستمتع

لها كل يوم حبيب جديد
بأبواب أهوائها يقرع
فعل

وتحت الظلام العميق
على شفيتها يريق
فعل

دماء الضلوع
وسرب الدموع
فعل

فيا للعذاب فعول ٠٠٠ الخ (٢٥)

١٠ - البحر المتدارك (المحدث) : نظم الشعراء قصائد قليلة جدا
في هذا البحر . ولقد وجدنا للاستاذ المرحوم ابراهيم الواصل قصيدة من
منهوك هذا البحر ذات تفعيلتين في الصدر وتفعيلتين في العجز . وهي ذات
مقاطع ، يحوي كل مقطع منها أربعة أبيات وشطرا كرده في المقاطع كلها .

(٢٥) القصيدة ٣ مقاطع . استخدم الشاعر لكل مقطع قوافي متعددة .
وجعل عروض الأبيات الأربعة (فعولن) عدا البيت الرابع فعروضه
(فعل) . وجعل ضرب الأبيات هذه (فعل) .

قال الوائلي في قصيدته (تحت ظل القمر) (٢٦) :

في ثغور الربى
بين زهو الشجر
لذ كأس الشراب
طاب ليل السمر
فاعلن

تحت ظل القمر
في بساط الزهور
قد تجلى الجمال
في غناء الطيور
أهوى والوصال
فاعلن

ما أرق الثغور
حيث يجلي الكدر
فاعلن فاعلان - فاعلن فاعلن

تحت ظل القمر
عطر الياسمين
كل هندي السهول
سلوة العاشقين
بين تلك الحقول
ليس يجدي الحنين

(٢٦) ديوان الوائلي : ٦٦/١ - ٦٧ - القصيدة ذات ٦ مقاطع . نظمها
في سنة ١٩٤٠م .

شاعراً في الطول
فاعلن فاعلان - فاعلن فاعلان

نغمة الشعاعين
في غناء الوتر
فاعلن

تحت ظل القمر
فاعلن
.....

كم درسنا الغرام
في الربى الزاهية
فالهوى والهيام
نغمة الشادية
والنسي والسلام
نسيمة البادية
رق كأس المدام
طاب نيل الوطر
فاعلن فاعلان - فاعلن فاعلن

فاعلن تحت ظل القمر

لقد استخدم الشاعر هنا العروض (فاعلن) في البيت الأول فقط .
واستخدم لبقية الأبيات (فاعلان) . أما الضرب فقد استخدم له التفعيلتين
(فاعلن و فاعلان) (٢٧) .

(٢٧) ينظر المقطعان الرابع والخامس ف ضربهما (فاعلن) . تنظر قصيدة
نازك الملائكة (جحود ص : ٧٤ - ٧٧ في ديوانها شظايا ورماد)
ففيها شبه بهذه القصيدة . نظمتها الشاعرة في سنة ١٩٤٧ م .

المصادر والمراجع

- ١ - أجنحة النور - ديوان شعر لموسى النقدي - مطبعة الزهراء ١٩٥٢
بغداد .
- ٢ - أفياء - ديوان شعر لأمين مرعي - دار الريحاني للطباعة بيروت
١٩٥٦ م .
- ٣ - الجداول - ديوان شعر لايليا أبو ماضي - المطبعة العربية بغداد
١٩٥٢ م .
- ٤ - دموع وأشواق - ديوان شعر لحسن عزة - مطابع دار الكشف
بيروت ١٩٥١ .
- ٥ - ديوان الوائلي ، القسم الأول والقسم الثاني - دار الرشيد للنشر
١٩٨١ م .
- ٦ - شرح تحفة الخليل في العروض والقافية - تأليف عبدالحميد الراضي
مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧٥ م .
- ٧ - شظايا ورماد - ديوان شعر لنازك الملائكة - مطبعة المعارف بغداد
١٩٤٩ م .
- ٨ - طبول الرعب - ديوان شعر لعلي حساني الكردي - المطبعة العربية
بغداد ١٩٥٦ م .
- ٩ - ظلال الأيام - ديوان شعر لأنور العطار - مطبعة البرهاني دمشق
١٩٤٨ م .
- ١٠ - قبل لا تنتهي - ديوان شعر لكمال فوزي الشرايبي - المكتب التجاري
للطباعة والنشر بيروت ١٩٦١ م .